الصباح الإسلامية
09
العدد 1854 - السنة السابعة
الثلاثاء 7 رجب 1435 - الموافق 6 مايو 2014
Tuesday 6 May 2014 - No.1854 - 7th Year

ما أثبته العلم الحديث من فوائد له ذكر في القرآن منذ 1400 عام

الجبال.. أوتاد تحفظ توازن الأرض حتى لا تميل بأهلها

■ كشف الجيولوجيون أنها سبب بقاء القارات والمحيطات لتثبيتها طبقة القشرة الأرضية

■ التفكر فيما أنزله الله منذ قرون من وصف للجبال يجعل أي عاقل يجزم بأن القرآن معجز وليس من صنع البشر

آيات الإعجاز: قال الله عز وجل: «ألَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَادًا × وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا» [النبأ: 6-7].

التفسير اللغوي: قال ابن منظور في لسان العرب: وتد الوتدُ وتدا، وتدةً، ووتد، كلاهما: ثبت. والجمع أوتاد.

تميد: ماد الشيء يميد ميداً، إذا تحرك ومال، وفي الحديث: «لما خلق الله الأرض جعلت تميدُ فارساها بالجبال».

فهم المفسرين: قال الإمام الرازي في تفسيره لقوله تعالى: «والجبال أوتادا»: أي أوتادا للأرض كي لا تميد بأهلها، فيكمل كون الأرض مهادا بسبب ذلك».

وقال القرطبي في تفسيره للآية أيضا: «أوتادا: أي لتسكن ولا تتكفأ ولا تميل بأهلها».

وقال القرطبي أيضاً في تفسير قوله تعالى: «وألقينا فيها رواسي» أي: جبالاً ثابتة لئلا تتحرك (الأرض) بأهلها».

مقدمة تاريخية: لقد تعرّف الإنسان على الجبال منذ القدم على أنها كتل صخرية عالية الارتفاع عن سطح الأرض، واستمر هذا التعريف للجبال إلى أن أشار بيير بوجر عام 1835م إلى أن قوى الجذب المسجلة لسلاسل جبال الإنديز أقل بكثير مما هو متوقع من كتلة صخرية هائلة بهذا الحجم، فاقترح ضرورة وجود كتلة أكبر من نفس مادة تلك الجبال حتى يكتمل تفسير الشذوذ في مقدار الجاذبية.

وفي أواسط القرن التاسع عشر أشار جورج إيفرست إلى وجود شذوذ في نتائج قياس المسافة بين محطتي كالبانا وكالياان بور يقدر بـ153 متراً، ولم يستطع «إيفرست» تفسير الظاهرة فسماها «الغز الهند».

واقترح جون هنري برات أن يكون السبب ناشئاً عن سوء تقدير لكتلة جبال الهملايا، كما وضع «جورج إيري» سنة 1865 فرضية تنص على أن جميع سلاسل الجبال الهائلة الارتفاع هي عبارة عن كتل عائمة في بئر من المواد المنصهرة التي تقع أسفل القشرة الأرضية، وأن هذه المواد المنصهرة أكثر كثافة من مادة الجبال والتي يفترض فيها أن تغوص في تلك المواد المنصهرة العالية الكثافة كي تحافظ على انتصابها على السطح.

وفي سنة 1889 طرح الجيولوجي الأميركي «داتون» نظرية سماها «نظرية التوازن الهيدروستاتي للأرض» ومثلها عملياً بمجموعة من المكعبات الخشبية المتفاوتة الأطوال وذلك بجعلها تعوم في حوض مليء بالماء، حيث وجد أن هذه المكعبات تغوص في الماء وأن مقدار هذا الغوص يتناسب طردا مع ارتفاع وعلو تلك المكعبات وهذا ما يسمى الآن «حالة التوازن الهيدروستاتي».

وفي عام 1969 طرح عالم الجيولوجيا الفيزيائية الأميركي «مورجان» (Morgan) نظرية بنائية الألواح (الصفائح) والتي تقول إن القشرة الأرضية ليست جسماً مصمتاً متصلاً بل إنها عبارة عن ألواح (أو صفائح) تفصل بينها حدود، وأنها تتحرك إما متقاربة أو متباعدة، وأن الجبال عبارة عن أوتاد تحافظ على اتزان هذه الألواح (الصفائح) أثناء حركتها.

حقائق علمية

– الجبل يشبه الوتد من حيث الدور والوظيفة إذ أنه يعمل على تثبيت القشرة الأرضية ويمنعها من الاضطراب والميلان.

– كشف الجيولوجيون أن طبقة القشرة الأرضية (السيال) هي التي تشكل القارات وتحتضن المحيطات.

– في سنة 1889 وضع الجيولوجي الأميركي «داتون» «Dutton» نظرية التوازن الهيدروستاتي للأرض.

– في عام 1969 تم الكشف على أن القشرة الأرضية عبارة عن ألواح أرضية تفصل بينها حدود وأن الجبال عبارة عن أوتاد تحافظ على توازن تلك الألواح الأرضية أثناء حركتها.

التفسير العلمي: قال الله تعالى في كتابه العزيز: «ألَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَادًا × وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا» [النبأ: 6-7].

من الآية السالفة الذكر يتضح لنا معنيان: الأول: أن الجبال تشبه الأوتاد شكلاً: إذ ان قسماً من مادة الجبال يغرق في طبقة القشرة الأرضية. والثاني: أن الجبال تشبه الأوتاد دوراً: أي أنها تعمل على تثبيت القشرة الأرضية وتمنعها من أن تميد وتضطرب!!.

أما المعنى الأول: فقد اكتشف علم الجيولوجيا الحديث أن طبقة القشرة الأرضية (السيال) التي نعيش عليها هي التي تشكل القارات وتحتضن المحيطات، وترتفع جبالاً في مكان وتنخفض وديانا في مكان آخر وتلي هذه الطبقة – مباشرة – طبقة السيما وهي أكثف من طبقة السيال: ولكن تحت ثقل هذه الأخيرة يصبح لها قوام عجيني الأمر الذي يسهل انزلاق القارات عليها: فالقارات جميعها تنزلق بسرعة ملحوظة وباتجاهات متعددة، حسب القياسات الحديثة بالأقمار الاصطناعية.

جاء في كتاب «الأرض» (Earth. Frank Press. 3rd ed.. P. 435. 1982) إن الجبال الضخمة لا ترتكز على قشرة صلبة، وإنما هي تطفو على بحر من الصخور الأكثر كثافة، وبمعنى آخر: «ان للجبال جذوراً اقل كثافة من طبقة السيما تساعد هذه الجبال على العوم». ويقول العالم Van Anglin C.R. في كتابه «Geomorphology» الصادر في عام 1948 (ص:27): «من المفهوم الآن انه من الضروري وجود جذر في السيما مقابل كل جبل فوق سطح الأرض». ولنفهم هذا التوازن نأخذ مثلا الجليد: فالجليد اقل كثافة (Density) من الماء، كما أن السيال اقل كثافة من السيما، فإن علا جبل الجليد فوق الماء فلا بد من امتداد له تحت الماء يدفعه ويساعده على العوم. كذلك الجبال الصخرية: فهي تشكل – من حيث تكوينها – جزءاً بارزاً فوق سطح الأرض وجذراً غارقاً في السيما، وقد أثبت ذلك علميا بواسطة قياسات الجاذبية في مختلف تضاريس الأرض.

فقد جاء في كتاب الأرض « أن الجهاز المعروف بـ «ميزان البناء» (Plumb Bob) يظهر انحرافا عند المستقيم العامودي نسبة لسطح الأرض بسبب جاذبية الكتل الجبلية.

وفي صفحة 435 من الكتاب نفسه: إن ميزان البناء يتحسس الكثافة العالية للجزء الظاهر من الجبل كما يتحسس الكثافة القليلة للجذر. وظهر ذلك عند قياس مقدار الانحراف بدقة.

لقد اتضح من خلال ما تقدم انه من الثابت علميا أن للجبال شكل أوتاد، كما هو مذكور في القرآن الكريم هو دلالة اللفظ «أوتادا» على وظيفة الجبال، فهي تحفظ الأرض من الاضطراب والميلان وتؤمن لها الاستقرار، وهذا ما كشف عنه الجيولوجيون في النصف الثاني من القرن العشرين.

عِظم جرم الكذب لا يعني تسويغ غيره من المعاصي

ثلاثة لا يدخلون الجنة: الشيخ الزاني والإمام الكذاب والعائل المزهو

إن عظم جرم الكذب عن غيره من المعاصي لا يعني أبدا تسويغ البخل أو تهوين الجبن كيف؟ ومنع الزكاة وترك الجهاد بابان إلى الكفران؟ وكلما اتسع نطاق الضرر إثر كذبة بشيعها أفاك جريء كان الوزر عند الله أعظم فالصحافي الذي ينشر على الألوف خبرا باطلا والسياسي الذي يعطي الناس صورا مقلوبة عن المسائل الكبرى وذي الغرض الذي يتعمد سوق التهم إلى الكبراء من الرجال والنساء أولئك يرتكبون جرائم أشق على أصحابها وأسوأ عاقبة. قال النبي صلى الله عليه وسلم: «رأيت الليلة رجلين أتياني قالا لي: الذي رأيته يُشق شدقه فكذاب يكون الكذبة فتحمل عنه حتى تبلغ الآفاق فيصنع به هكذا إلى يوم القيامة». ومن هذا القبيل كذب الحكام على الشعوب فإن كذبة المنبر بلقاء مشهورة. وفي الحديث: «ثلاثة لا يدخلون الجنة: الشيخ الزاني والإمام الكذاب والعائل المزهو» الفقير المتكبر. والكذب على دين الله من أقبح المنكرات وأول ذلك نسبة شيء إلى الله أو إلى رسوله لم يقله. وهذا الضرب من الافتراء فاحش في حقيقته وخيم في نتيجته. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن كذبا عليّ ليس ككذب على أحد؟ فمن كذب عليّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار» ويدخل في نطاق هذا الافتراء سائر ما ابتدعه الجهال واقتحموه على دين الله من مُحدثات لا أصل لها عدها العوام دينا وما هي بدين ولكنها لهو ولعب! وقد نبه النبي صلى الله عليه وسلم أمته إلى مصادر هذه البدع المنكرة وحذر من الانقياد إلى تيارها ومسك المسلمين بأي كتابهم وسنة سلفهم قال: يكن في آخر أمتي أناس دجالون كذابون يُحدثونكم بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم! فإياكم وإياهم لا يُضلونكم ولا يفتنونكم.

■ الإسلام الذي أباح الترويح عن القلوب لم يرض وسيلة لذلك إلا في حدود الصدق المحض

والإسلام يوصي أن تُغرس فضيلة الصدق في نفوس الأطفال حتى يشبوا عليها وقد الفوها في أقوالهم وأحوالهم كلها. فعن عبدالله بن عامر قال: دعتني أمي يوما ورسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد في بيتنا فقالت: تعال أعطك فقال لها صلى الله عليه وسلم «ما أردت أن تعطيه؟» قالت: أردت أن أعطيه تمرا فقال لها: «أما إنك لو لم تُعطه شيئا كتبت عليك كذبة». وعن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من قال لصبي: تعال هاك ثم لم يعطه فهي كذبة. فانظر كيف يُعلّم الرسول صلى الله عليه وسلم الأمهات والآباء أن يُنشئوا أولادهم تنشئة يقدسون فيها الصدق ويترهون عن الكذب ولو أنه تجاوز عن هذه الأمور وحسبها من التوافه الهينة لخشي أن يكبر الأطفال وهم يعتبرون الكذب ذنبا صغيرا وهو عند الله عظيم. وقد مشت الصرامة في تحري الحق ورعاية الصدق حتى تناولت الشؤون المنزلية الصغيرة. عن اسماء بنت يزيد قالت: يا رسول الله إن قالت إحدانا لشيء تشتهيه: لا أشتهيه. يُعد ذلك كذبا؟ قال: «إن الكذب يكتب كذبا حتى تكتب الكذيبة كذيبة». وقد أحصى الشارع مزالق الكذب وأوضح سوء عقباها حتى لا يبقى لأحد منفذا إلى الشرود عن الحقيقة أو الاستهانة بتقريرها. فالمرء قد يستسهل الكذب حين يمزح! حاسبا أن مجال اللهو لا حظر فيه على أخبار أو اختلاق ولكن الإسلام الذي أباح الترويح عن القلوب لم يرض وسيلة لذلك إلا في حدود الصدق المحض: فإن في الحلال مندوحة عن الحرام وفي الحق غناء عن الباطل. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ويل للذي يحدث بالحديث ليُضحك منه القوم فيكذب ويل له ويل له».

التخطيط النبوي الدقيق سبب نجاح الدعوة السرية

كان النبي صلى الله عليه وسلم يشرف بنفسه على تربية أصحابه في كافة الجوانب، ووزعهم في أسر، فمثلا كانت فاطمة بنت الخطاب وزوجها سعيد بن زيد، وهو ابن عم عمر بن الخطاب رضي الله عنهم، كانوا في أسرة واحدة مع نعيم بن عبدالله النحام بن عدي، وكان معلمهم خباب بن الأرت، وكان اشتغالهم بالقرآن لا يقتصرون منه على تجويد تلاوته وضبط مخارج حروفه ولا على الاستكثار من سرده، والإسراع في قراءته، بل كان همهم دراسته وفهمه، ومعرفة أمره ونهيه والعمل به.

كان النبي صلى الله عليه وسلم يهتم بالتخطيط الدقيق المنظم وبحسب لكل خطوة حسابها، وكان مدركا تمامًا أنه سياتي اليوم الذي يؤمر فيه بالدعوة علنًا وجهرًا، وأن هذه المرحلة سيكون لها شدتها وقوتها، فحاجة الجماعة المؤمنة المنظمة تقتضي أن يلتقي الرسول المربي مع أصحابه، فكان لابد من مقر لهذا الاجتماع، فقد أصبح بيت خديجة رضي الله عنها لا يتسع لكثرة الأتباع، فوقع اختيار النبي وصحبه على دار الأرقم بن أبي الأرقم، إذ أدرك الرسول عليه الصلاة والسلام أن الأمر يحتاج إلى الدقة المتناهية في السرية والتنظيم، ووجوب التقاء القائد المربي بأتباعه في مكان آمن بعيد عن الأنظار، ذلك أن استمرار اللقاءات الدورية المنظمة بين القائد وجنوده، خير وسيلة للتربية العملية والنظرية، وبناء الشخصية القيادية الدعوية.

ومما يدل على أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يعد أتباعه ليكونوا بناة الدولة وحملة الدعوة، وقادة الأمم، هو حرصه الشديد على هذا التنظيم السري الدقيق، فلو كان مجرد داعية لما احتاج الأمر إلى كل هذا.

ولو كان يريد مجرد إبلاغ الدعوة للناس لكان خير مكان في الكعبة حيث منتدى قريش كلها، ولكن الأمر –غير ذلك– فلابد من السرية التامة في التنظيم، وفي المكان الذي يلتقي فيه مع أصحابه، وفي الطريقة التي يحضرون بها إلى مكان اللقاء.

2 – دار الأرقم بن أبي الأرقم (مقر القيادة):

تذكر كتب السيرة أن اتخاذ دار الأرقم مقرًا لقيادة الرسول صلى الله عليه وسلم كان بعد المواجهة الأولى، التي برز فيها سعد بن أبي وقاص. قال ابن إسحاق: «كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلوا ذهبوا في الشعاب، فاستخفوا بصلاتهم من قومهم، فبينما سعد بن أبي وقاص في نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في شِعب من شعاب مكة إذ ظهر عليه نفر من المشركين وهم يصلون، فناكروهم، وعابوا عليهم ما يصنعون حتى قاتلوهم، فضرب سعد بن أبي وقاص يومئذ رجلا من المشركين بلحي بعير فشجه، فكان أول دم أريق في الإسلام».

أصبحت دار الأرقم السرية مركزا جديداً للدعوة يتجمع فيه المسلمون، ويتلقون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كل جديد من الوحي، ويستمعون له –عليه الصلاة والسلام– وهو يذكرهم بالله، ويتلو عليهم القرآن، ويضعون بين يديه كل ما في نفوسهم وواقعهم فيربيهم، عليه الصلاة والسلام على عينه. كما تربى هو على عين الله عز وجل، وأصبح هذا الجمع هو قرة عين النبي صلى الله عليه وسلم.

أبوبكر الصديق في فتح مكة

سبب الفتح بعد صلح الحديبية ما ذكر ابن إسحاق قال: حدثني الزهري، عن عروة بن الزبير، عن المسور بن مخرمة، ومروان بن الحكم أنهما حدثاه جميعًا قالا: في صلح الحديبية انه من شاء أن يدخل في عقد محمد دخل، ومن شاء أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل، فتواثبت خزاعة وقالوا: نحن ندخل في عقد محمد وعهده، وتواثب بنو بكر وقالوا: نحن ندخل في عقد قريش وعهدهم، فمكثوا في ذلك نحو السبعة أو الثمانية عشر شهرًا، ثم إن بني بكر وثبوا على خزاعة ليلاً بماء يقال له الوتير –وهو قريب من مكة– وقالت قريش ما يعلم بنا محمد، وهذا الليل وما يرانا من أحد فاعانوهم عليهم بالكراع والسلاح وقاتلوهم معهم للضغن على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقدم عمرو بن سالم إلى المدينة فانشد رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلا:

اللهم إني ناشد محمدا
حلف أبينا وأبيك الأتلدا
فانصر هداك الله نصرا أعتدا
وادع عباد الله يأتوا مددا

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «نصرت يا عمرو بن سالم».

وتجهز النبي صلى الله عليه وسلم مع صحابته للخروج إلى مكة، وكتم الخبر، ودعا الله أن يعمي على قريش حتى تفاجأ بالجيش المسلم يفتح مكة، وخافت قريش أن يعلم النبي صلى الله عليه وسلم بما حدث، فخرج أبوسفيان من مكة إلى رسول الله فقال: يا محمد، أشد العقد، وزدنا في المدة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «ولذلك قدمت؟ هل كان من حدث قبلكم؟» فقال: معاذ الله، نحن على عهدنا وصلحنا يوم الدية لا نغير ولا نبدل، فخرج من عند النبي صلى الله عليه وسلم يقصد مقابلة الصحابة عليهم الرضوان.